

روافد: مع معاذ الألووسي (تشكيلي ومعماري)



اسم البرنامج: روافد

مقدم البرنامج: أحمد علي الزين

تاريخ الحلقة: الجمعة 3-7-2009

ضيف الحلقة: معاذ الألووسي (تشكيلي ومعماري)

أحمد علي الزين: التقيت هذا الرجل هنا في بيروت. وبيروت بالنسبة إليه الخالة الحنون، هكذا يسميها، حيث جعلها أختاً لأمه بغداد، ربما لأنه وجد فيها ذات يوم الأم البديل أو الموازي أو المؤقت، فسامها الخالة الحنون، وهي بالنسبة إليه فضاء للإبداع والسؤال والحرية، فالتسكع قرب الأزرق يسمح للنفس بالإبحار إلى عوالم بعيدة تقع على تخوم الشوق الغاضب لوجه أو بلاد أو بيت أو نافذة أو حي، وكل هذه الأشياء كانت في مختبره معمارياً وتشكيلياً مفتوناً بالأقواس وانحناءاتها وبالوجوه الغائمة خلف ترابها. هو معاذ الألووسي عراقي جوال في الأمكنة والألوان وفي البدء أيهما أقرب إليه؟ المعماري أم الرسام؟

الألووسي المعماري الرسام

معاذ الألووسي: لو في اللغة العربية موجودة السلاش، لو أقول المعماري بالرسام.

أحمد علي الزين: نعم.

معاذ الألووسي: المعماري أهم.

أحمد علي الزين: معماري أهم.

معاذ الألووسي: أهم لأن هو المهني من بداية، المهنة بداية، قد يكون الفن المنفذ للعمارة في البداية، بس العمارة كانت هي الطاغية في حياتي.

أحمد علي الزين: بحياتك وبشغلك.

معاذ الألووسي: في الشغل وفي المهنة والاستمتاع وفي المعاناة.

أحمد علي الزين: بس بدون شك يعني التشكيلة اللي فيك تجنب العمارة، يمكن استفدت من الطاقات الفنية ومن

الشطحات يمكن بشغلك بالعمارة.

معاذ الألووسي: بالتأكيد. دراسة العمارة توسع آفاق التشكيل كثير، خاصة في تاريخ العمارة علاقة العمارة بالفض والفض بالعمارة، القيم الجمالية في العمارة قد تتوازي مع القيم الجمالية في الفن، بس الترجمة تختلف، الميديا تختلف، الإنسان اللي تتعامل وياه يختلف.

عالمه الخاص معه على الكمبيوتر

أحمد علي الزين: يقيم معاذ الألووسي الآن في قبرص، ويحمل حياته في حاسوبه، وهذا ما هوّن عليه مشقات المسافة والرحيل ما بين الحاضر والماضي أو ما بين مكان وآخر، وبلمسة واحدة يأخذك برحلة إلى مدن وأحياء وصروح وشوارع، إلى ألوان وتجليات وأفكار. هنا الكرخ وقد أعدت تصميمه وتأهيله وفاء للذاكرة ولأمي. وهذا شارع حيفا في بغداد هو أيضاً أعدنا تأهيله، وهذا بيت الأهل على ضفاف الفرات، ويخطر في البال في هذه الجولة، إن خسارة المعماري قد تكون مزدوجة في حالة الحروب بحكم تدخله المباشر في قيام هذا المبنى أو إنشاء هذا البيت. فكيف يرى معاذ الألووسي إلى عراقه؟

معاذ الألووسي: يوم أشعر بتفاؤل ويوم أشعر في خيبة أمل كبيرة. أشعر في يأس، بعض المرات بصيص أمل يجي ويقول لك: لأ. هذه - خاصة بغداد - رأت ما رأت في التاريخ، أنا أشوفها مغضتة صارت، كبرت بسرعة، وأنا أخاف على شيء أهم شيء أنه بدأت الذاكرة اللي عندنا، الخزين اللي موجود بدأ يشوش بدأ يضضب، مش ذاك الوضوح، إذا أريد أروح على منطقة مثلاً في طفولتي، لها لون آخر، لها صفة أخرى، لها مش تلك اللي أنا أعرفها، أبدأ، هذه مخيفة، هذه تخوف، أن بغداد اليوم، أو بغداد الغد، هي غير بغداد اللي نعرفها نحن.

أحمد علي الزين: كيف بتشوف صورة المستقبل؟

معاذ الألووسي: قلت لك فيه بعض مرات بصيص أمل، مين يشوف أن هامش حرية موجود مع سوء استعمالها في كثير من الأحيان، قد تكون منطلق إلى..

أحمد علي الزين: تؤسس لشيء.

معاذ الألووسي: تؤسس إلى مجتمع متحرر منتج يخرج من هذه الظلمة، مثل ما تسمى هذه الردة، أنا أسميها ردة، لأنها رجعية بالتأكيد.

أحمد علي الزين: طيب. طبعاً أنت غادرت العراق لأكثر من مرة في البدايات، غادرت للدراسة في أنقرة وفي بريطانيا وغادرت لاحقاً بأعمال أتيت بيروت ثم إلى قبرص، ولكن آخر مغادرة كانت مغادرة طويلة كثير، يمكن فوق العشرين سنة تقريباً؟

معاذ الألووسي: أي نعم.

أحمد علي الزين: طيب وقت تطول هالقد المسافة من الزمن بين المرء ومصدره ومكانه وبلاده شو بصير بالشوق؟ شو بصير بالحنين؟ شو بصير بالذاكرة؟ شو بذكر يعني؟

معاذ الألووسي: كل مغادرة كان لها طعمها يختلف عن الثانية. المغادرة الأولى بالعكس..

أحمد علي الزين: فيها سعادة.

الخروج من العراق أولاً وأخيراً

معاذ الألووسي: سأرجع أنا وأشتغل وأخدم، والمغادرة الثانية نص مغادرة. في الـ 74 لما تركت.. موجود مكتبي في بغداد، موجود بيتي في بغداد، موجود أهلي وأصدقائي في بغداد، أتردد على بغداد وأشتغل. هو الخروج الأخير كان أكثرهم إيلا، لأنه تشعر ذاك الوقت أنك أنت تاريخ. أنا يعني عايف كل شي مثل ما يقولون عندنا بالعراقي. وما كنت أتصور أنني ما أرجع بسرعة، وطالت يعني كل ما أريد أرجع، الجميع من أهلي إلى أصدقائي، إلى شركائي بالعمل، إلى طلابي يقولون لك لا ترجع بليز. من فضلك ابق بعيداً.

أحمد علي الزين: حتى؟

معاذ الألووسي: لا تخيب الآمال. خليها مثل ما هي. ولو أنا لما تركتها ثاني مرة بعدها ما طارده لأهلها، طارده إلى جزء قليل من المثقفين، هلاً طارده الجميع، بغداد تطرد الجميع، أربع ملايين واحد برا، كل المثقفين برا.

بالبثمانينات مثقفين تركوا أيوة. بس هالأ طاردة الجميع، بغداد ما تريد حدا. هيك يعني قاعدين في بيروت، وبأبي محل، بماليزيا الضريق العراقي يلعب فطبول كرة في سنغافورة، نص الموجودين. أحمد علي الزين: عراقيين في كل مكان. معاذ الألووسي: في كل مكان. بدأت تطرد أهلها. وفي من يأخذ محلهم. أحمد علي الزين: تحدثت ببداية الحديث عن أن هذا الوطن والبلاد صارت تترثي، حتى الإنسان يعني بيتهلل وضعه، كل شيء كأنه صار عتيق، صار خرب، يعني بس هيدي تراكمات النظام والحرب، أم هناك أشياء ساهمت أيضاً في هيك تشتيت الشخصية العراقية وفي تبديدها؟ معاذ الألووسي: المساهمة كانت مشتركة. الجميع ساهموا في خلق هذه الأجواء. يعني إذا كانوا سياسيين وإذا مثقفين مثقفين والمتهافتين والمتهافتين على المتهافتين منهم كثر. المصيبة الكبرى أن المؤسسات من أصغر مؤسسة وهي العائلة استهدفت، يعني الابن يتجسس على أبيه، والأب يروح يسلم ابنه لأنه هارب من الجندية. فالعائلة والمدرسة، مدارسنا كانت من أجمل ما يكون، ومن أبداع ما يكون. أساتذتنا هائلين كانوا، درس النشيد والموسيقى كان يجينا لما كنا أطفال جميل بشير.. أحمد علي الزين: والرسم معاذ الألووسي: درس الرسم.

الرشاش بدل الدروس في العراق

أحمد علي الزين: شو استبدل هذه الدروس بشو استبدلت؟ معاذ الألووسي: يوم الخميس كنا نوقف في رفعة العلم، هالأ يضربون رشاش. أحمد علي الزين: رشاش. معاذ الألووسي: رشاش. فالنتيجة أن هذا طلع ونزل للشارع يذبح ويقتل وينهب، لأنه متعلم يضرب رشاش، ما تعلم أن يحب الثاني ويحب الجمال ويحب اللون ويحب الموسيقى، ما تعلم عليه. تعلم يحب الرشاش. أحمد علي الزين: خروجك الأخير من بغداد، شو كان السبب المباشر يعني؟ شو هي القشة التي قصمت ظهر البعير مثل ما بيقولوا؟ معاذ الألووسي: الحرية والخوف من الصدا والمساومة. أحمد علي الزين: خفت على حالك تصدي؟ معاذ الألووسي: تصدي أولاً، وبعدين تساوم، تجبر أن تساوم، أنت تمشي بالشارع ويجيك واحد، إلى اليوم يعني، يعطيك الميكرفون: بطاقة تهنئة، تهنئة شو؟ معاناة الفقير؟ معاناة الأرامل؟ ملايين الأرامل موجودين عندنا عدد هائل يعني أتذكر أنا مشغل مع الأمم المتحدة ربات البيوت والعوائل اللي تديرها امرأة ما في رب أسرة، عدد هائل. أحمد علي الزين: معظم الرجال قتلوا في الحروب. معاذ الألووسي: قتلوا أو شوها أو خوفاً، أو ذبحوا أو ذوبوا أو.. خوف. أحمد علي الزين: ونجوت بنفسك أنت تقيم في قبرص. معاذ الألووسي: مثل ما يقول نزار: قبرص أعطتني سما بحجم الطاولة. [فاصل إعلان]

عائلة الألووسي العريقة

أحمد علي الزين: ولد معاذ الألووسي في بغداد خريف عام 1938. والده كان معمارياً ورساماً، ويبدو أنه ورث منه الحاليتين. أما مصدر العائلة الألووسي فهو يعود إلى جزيرة في الضرات بالقرب من حديثة تسمى ألووس، وكانت قديماً مركزاً لأحد الأباطرة الساسانيين، جاءها الأجداد قديماً هرباً من العراق، واستقروا فيها وصاروا يعرفون

هناك باسم البغدادي. أما عندما عادوا إلى بغداد من جديد حملوا اسم موطنهم الجديد معهم ألووس. وعائلة الألووسي هي واحدة من العوائل العربية في العراق. فمنها رجال الدين، والمفتين، والحكام، فجد معاذ أبو الثنا كان مفتي بغداد، وعمه كان حاكماً في جنوب العراق، ولكن الوالد كما ذكرنا خرج عن السرب. كان معاذ في طفولته كما يروي يجالس والده وصديق والده محمد صالح زكي وهما يمارسان فن الرسم على شرفة بيتهم الممتدة فوق دجلة فيخربش بفتافيت الألوان أحلامه الأولى قبل أن يبدأ خطواته نحو التخصص لاحقاً في فن العمارة في أنقرة ثم في جولات أوروبية مهدت أمامه ليكون واحداً من بين أبرز المعماريين في العراق. فكيف بدأت رحلته هذه؟

رحلته في مهنته وموهبته

معاذ الألووسي: أمي من الكرخ، أبي من الرصافة، أمي من الكرخ من ست نفيسة، ست نفيسة التي هي الشريعة التي كانت هلاً في تطوير منطقة الكرخ مكتبي فيها، لما انبأع هذا البيت والمدرسة عندهم هناك، أعطتني المصاري ورحت درست فيها، ورجعت لتطويرها تصور. تركت بالـ 80 ورجعت على ذات المنطقة وبقيت 8 سنين أنام في المنطقة وأشتغل على تطوير المنطقة. كانت فد نوع من اللذة لا توصف.

أحمد علي الزين: وأثار عملك بعدها قائمة بالمنطقة هنيك؟

معاذ الألووسي: طبعاً. حاولوا يعني أنا شفت من مهندسين أمانة العاصمة اليوم عملوها مثل الدكيومانة المقدسة.

أحمد علي الزين: إذا بيتحدثوا العراقية عن صروح قائمة في العراق، أو ربما خارج العراق لأنه أنت عندك

إنجازات موجودة في عمان وفي الكويت، شو هي الصروح التي بيتباهوا فيها إذا قلنا أنها هي من إنجازاتك؟

معاذ الألووسي: من إنجازاتي ما أعتقد في شيء.

أحمد علي الزين: ما في.

معاذ الألووسي: لا. شارع حيفا. الجزء السادس، وتطوير شارع حيفا كله، إدارته وتنسيقه وتأثيث الشوارع، ووضع الخطوط الفنية، واختيار الفنانين، مواضيع الفن وسأحكي لك مواضيع الفن، حياتي ثمان سنين قضيتها من حياتي في هذا الشارع. يوماً من الصباح إلى الليل.

أحمد علي الزين: بدأ معاذ الألووسي حياته العملية منذ عودته من التخرج عام 1961، ليعمل في المكتب الاستشاري مع رفعت الجادري، موقعاً سنة بعد سنة تجربة غنية في التصميم والإنشاء والإبداع الفني، فمناشاته العمرانية ممتدة إضافة إلى العراق إلى عواصم ومدن عربية وعالمية مختلفة من قصور ودور للثقافة ومنشآت تجارية وبنوك ومساكن، فمن صلالة في عمان، إلى السودان، فالكويت، وأرمينيا وبراغافيل وصولاً إلى تصميم وإنشاء قرى على خط الاستواء. وللالووسي محطات مفصلية في تجربته، منها بيروت مثلاً، حيث استقر فيها لسنوات، إلى عواصم عديدة من العالم حتى استقر في جزيرة قبرص منذ أكثر من عشرين سنة. ولعل خياره لهذه الجزيرة جاء من حنين غامض لجزيرة الأجداد في الفرات، أو لبيت الأهل على ضفاف دجلة.

أحمد علي الزين: طيب. وقت اللي بيتحدثوا عن تجربتك بالعمارة بيحكوا عن شيء من التماثلية، وبيتحدثوا عن هالقوس اللي يميز عمارتك، طبعاً قوس مش جديد بالعمارة الإنسانية بشكل عام، ولكن أنت بيدو اعتنت فيه أكثر من سواك يعني، شو سر هذا القوس اللي يتردد دائماً بعمارتك كمفردة دائمة؟

معاذ الألووسي: ما بعرف يمكن لأنه طفولتنا كلها..

أحمد علي الزين: أقواس؟

معاذ الألووسي: طفولتنا، شوارعنا، بيوتنا، إضافة إلى أن القوس لما يندرس يعطي مجال للإبداع أكثر من الخط المستقيم، أو الشباك العادي، أو الفتحة، ويعطي معاني كثيرة لما يتكرر، يعني تكرار القوس لما يتحول إلى رواق، هو مش ذاك القوس اللي هو المفرد من وجوده أو اثنين أو ثلاثة، ولا ذاك القوس ذاته المقرب. الأستاذ جبرا فسره في.. اختيار في مقدمة لكتاب كتير حلو، أن الارتفاع والاستمرار بالارتفاع من دون الحس بالنهاية والنزول، هو اللي خلاله يكسب هذه الجمالية، يكسب نوع من القدسية. وقلت لك أن القوس يعطي حاله للتصميم، إذا كان قوس قصير، إذا نص قوس، إذا ربع قوس، إذا ترتفع فيه توصل إلى مثلاً الغوطيه أقواس الغوطية أو أقواس

الرومانيسك مثلاً، هو يعطي حاله إلى أقواس أصفهان وأقواس المستنصرية. تختلف كلها تختلف، تعطي، في مجال للإبداع فيه.

أحمد علي الزين: فيه إمكانية اللعب فيه أكثر.

معاذ الألووسي: في نوع من الانتماء، يخاطب أسهل، المقابل الآخر، يخاطبه يقول له: أنا من هون.

أحمد علي الزين: له علاقة بالذاكرة.

معاذ الألووسي: بالذاكرة. أنا من المنطقة. أنا ابن المنطقة.

أحمد علي الزين: سؤال الهوية والمدينة قد يشغل المعماري أكثر من سواه، والمعماريون الذين ينتمون إلى

جيل عمل على مخاطبة الذاكرة والتوفيق ما بين التراث والحداثة هم أكثر اهتماماً بهذا السؤال أمام

العشوائيات التي تجتاح المكان والذاكرة، وتمحو يوماً بعد آخر ما تبقى من العمارة التراثية التي تدل على هوية وانتفاء، فالنمو متسارع لعدد السكان، يفرض هذا الارتجال في المساكن والعمارة التي غالباً لا تخضع لرقابات أو

شروط بمقدار ما تبتغي الربح على حساب أي معنى في الجمال والانتماء والهوية. فهل يمكن التحدث اليوم عن هوية معمارية في عالمنا العربي؟

مأساة تخلص المدن وغياب النسيج

معاذ الألووسي: واحدة من الأشياء، حقيقة من المآسي التي تصيب المدينة، مدينة المنطقة، إن كانت عربية أو غير

عربية، إسلامية أو غير إسلامية، هو تخلص النسيج في المدن. مدناً دائماً كانت محيوة حياكة حول قصر

الإمارة، والجامع الكبير. الجامع الكبير النحت الفني الوحيد بالمدينة، منشوف المدينة متجانسة مترابطة

متراصة ما عدا فتحات الفناءات، إلى أن يجي الجامع بقبته ومنارته ولونه، ولا اللون الواحد في المدينة، التي صار أو لا..

أحمد علي الزين: الجامع، ما في كنيسة أيضاً؟

معاذ الألووسي: والكنيسة أقصد، العفو حتى الكنيسة أيوه.

أحمد علي الزين: لأنه أيضاً المدن..

معاذ الألووسي: بالضبط، كلها أنا قلتها لأن المدن إسلامية. وعندنا قرى مسيحية كثيرة يعني في شمال العراق،

مغلقة مسيحية، ذات النسيج، بتيجي من التقاليد أكثر، التي حدثت أنا أسميها مدن صدفة، مدن صدفة، تكتشف

نقط تصير مدينة، وتتوسع جديد من دون نمو طبيعي، يعني مثل إنسان يولد ناضج، ما ممكن، المدينة يراد لها

نضوج، يراد لها عتق، يراد تعتيقها مش عتق، تعتيق يعني يراد لها زقاق، وله ذكرى، تمشي بشارع وتقول لك: هذا جدي كان هون.

أحمد علي الزين: مرت عليها أجيال.

معاذ الألووسي: هذه يعني.. لما توقف في بغداد وتشوف نهر دجلة عم يمر رأساً يجيك التاريخ كله قدامك، من

هولاكو إلا ما بعرف مين، هذا النهر هو موجود وصامد وباقي ويهدر. فهالمدن العشوائية موجودة، مثلاً عمان

واحدة منها، عمان لو ما حرب 48 ما بتتوسع هيك، والحروب الأخرى العراقية، وحروب ما بعرف شو، عندك

الكويت، الكويت أنا أول ما شفت الكويت بالـ 66، لا تنم عن أي مدينة بالمنطقة من فوق بشيء، ما في ترابط، أكو

منطقة صغيرة كانت، بعدين اكتشفتها، أو في دبي الشندقة والبستكية اللي هدمت وأعيد بناؤها بعد الندم. بس

إذا تتطلع على بغداد أو الشام، أو حتى اسطنبول، تشوف هالتراث، فالتهدشيم بدأ هنا، يعني اليوم أكو مثل على

تهشيم المدينة وهي كربلاء، بدأ بكربلاء بربط المرقدتين فراحت واختفت قيمة المفاجأة، أجمل ما في كربلاء..

أحمد علي الزين: قيمة الذاكرة يعني.

معاذ الألووسي: كانت تمشي بين الأزقة وهناك يبين عندك باب.. أو باب ما بعرف شو..

أحمد علي الزين: طيب. كان في حلول، في مجال لتحاشي وتفادي هذه العشوائيات والارتجال ومدن الصدفة مثل

ما قلت؟ يعني كان في حلول أخرى لخلق نوع من التجانس بين التاريخ وال...؟

معاذ الألووسي: موجودة. فد محاولات في المغرب العربي، مدينة أصيلة. مدينة أصيلة محافظة على الفابريك تبعها،

بجمالية جديدة، باستعمالات جديدة، إحنا في الكرخ، الكرخ حوالي أعداد هائلة من الدور، رفضنا تبديل الفابريك. وحتى إحنا إذا البيت يهتري المهم نحافظ على النسيج، يعني.. أحمد علي الزين: يتعمر واحد على شكله.

معاذ الألويسي: هالأ مساحته، المهم أن لا تربط ثلاثة أربع قطع أرض وتبني عليها عمارة، راحت. أحمد علي الزين: وكيف بتحل مشكلة النمو السكاني؟

معاذ الألويسي: النمو السكاني بمدن أخرى، وعودة إلى الريف، أعطي الريف خلي الريف ينتج. أحمد علي الزين: أو الحد من الإنجاب يعني.

معاذ الألويسي: هذا شيء رئيسي.

أحمد علي الزين: ست أطفال كثير بالعائلة.

معاذ الألويسي: العائلة الواحدة ستة أطفال في العائلة، إذا الألمان عم بستعطوا أنه طفل واحد للعائلة ما فيه. أحمد علي الزين: صحيح، بأوروبا صارت يعني.

معاذ الألويسي: أوروبا كلها..

أحمد علي الزين: ما في جيل شاب بالمعنى..

معاذ الألويسي: لأنه ما بتكفي الأرض لها لحد أفواه. وإحنا مهشمين الأرض كلها بثاني أكسيد الكربون والأوزون وما بعرف شو. العراق ملوث. يعني مش بس العقل ملوث، المي ملوث، والأرض ملوثة، وكله ملوث.

أحمد علي الزين: الكوكب كله ملوث.

معاذ الألويسي: الكوكب.

أحمد علي الزين: ونتابع مع معاذ الألويسي في حلقة قادمة عن رحلته معمارياً وتشكيلياً يتغالبان على صفحات المكان فتنبثق هناك أقواس وتنحني وتطلع هنا شطحات من ألوان ووجوه تائهة وانبثاقات ضوء خلف كتل من الألوان.